

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة و
أتم التسليم ، قال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى و غفر له و للشارح و السامعين - في كتاب
أصول العقائد الدينية ، قال : **الأصل الرابع: مسألة الإيمان**

فأهل السنة يعتقدون ما جاء به الكتاب والسنة من أن الإيمان هو تصديق القلب المتضمن لأعمال
الجوارح.

فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها وأعمال الجوارح وأقوال اللسان وأنها كلها من الإيمان.
وأن من أكملها ظاهراً وباطناً فقد أكمل الإيمان ومن انتقص شيئاً منها فقد انتقص من إيمانه، وهذه الأمور
بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان.
الشيخ : نعم ، الحمد لله رب العالمين ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و
رسوله صلى الله و سلم عليه و على آله و أصحابه أجمعين ، أما بعد .

فهذا الأصل الرابع من الأصول الخمسة التي جمعها الشيخ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي-رحمه الله تعالى - في هذه
الرسالة القيمة و المؤلف النافع أصول العقائد الدينية ، وجعل هذا الأصل متعلقاً بمسألة الإيمان ، ومسألة الإيمان مسألة
عظيمة و جليلة و واجب على كل مسلم أن يعرف الإيمان الذي خلقه الله سبحانه و تعالى لأجله و أوجده لتحقيقه
، وفي حجة الوداع أمر النبي صلى الله عليه و سلم عددا من الصحابة ينادون في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا نفس
مؤمنة فالإيمان هو أساس لكل أمور لدخول الجنة و النجاة من النار ، و الفوز برضا الله و سعادة الدنيا { **مَنْ عَمِلَ**
صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [النحل :
٩٧] وفهم الإيمان و معرفته و معرفة حقيقته و معرفة ما يدخل في مسماه هذه مسألة كبيرة ومهمة و عظيمة و يحتاج
إليها كل مسلم ، ولهذا عقد -رحمه الله - هذا الأصل لبيان هذه المسألة ، مسألة الإيمان ، وهو بهذا ينبه أن مسألة
الإيمان أو معرفة الإيمان أصل من الأصول الدينية التي ينبغي على كل مسلم أن يُعنى بها ، قال : **مسألة الإيمان فأهل**
السنة يعتقدون ما جاء به الكتاب والسنة من أن الإيمان هو تصديق القلب المتضمن لأعمال الجوارح.

هذا بيان منه -رحمه الله تعالى - لحقيقة الإيمان ، فالإيمان عند أهل السنة هو ما دل عليه كتاب الله جل و علا و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم من بيان لحقيقة الإيمان ، وهذا فيه تنبيه من الشيخ -رحمه الله - لمسألة مهمة في هذا الباب ألا وهي أن حد الإيمان و حقيقته لا سبيل إلى العلم بها و معرفتها إلا من خلال الكتاب و السنة ، بمعنى أن من أراد أن يعرف حد الإيمان أو حقيقة الإيمان بمجرد اللغة أو من الذوق أو الرأي أو العقل أو غير ذلك لا يمكن أن يصل إلى حقيقة الإيمان ، الإيمان حقيقة شرعية و مطلب عظيم لا سبيل إلا العلم به إلا من خلال كلام الله و كلام رسوله عليه الصلاة و السلام ، قال الله تعالى مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ } الله يقول لنبيه عليه الصلاة و السلام { مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا } والنور هنا الوحي سماه جل و علا نورا ؛ لأنه ينير درب السالكين ، ويميز به الإنسان بين الحق و الباطل والهدى والضلال و الإيمان و الكفر ، و لا يمكن أن يميز الإنسان بين هدى و ضلال إلا بالوحي ، لا يمكن أن يميز بين حق و باطل إلا بالوحي ، فهو النور الذي يضيء للإنسان طريقه فيعرف في ضياء الوحي الحق من الباطل و الهدى من الضلال ، فهذه الآية صريحة في أن الإيمان لا يُعرف إلا بالوحي ، نظيرها ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما - في ذكر وفد عبد القيس عندما جاءوا إلى النبي عليه الصلاة و السلام و قالوا : يا رسول الله ، مرنا بقول فصل نخبر به من وراءنا و ندخل به الجنة قال : (آوكم بالإيمان بالله أتدرون ما الإيمان بالله ؟) قالوا : وما الإيمان بالله ؟ -مع أنهم عرب و أهل لسان و أهل عقل و أهل فهم - قالوا : وما الإيمان بالله لأنهم يدركون أن الإيمان بالله حقيقة لا يمكن أن تُعرف إلا من المصدر من الوحي كلام الله و كلام رسوله عليه الصلاة و السلام قال : (الإيمان بالله شاهدة أن لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و صوم رمضان و أن تعطوا الخمس من المغنم) ، فسر لهم عليه الصلاة و السلام الإيمان بالأعمال الظاهرة خلاصة ما سبق أن الإيمان حقيقة شرعية لا بد في معرفتها من التعويل على كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم و من لم يعوّل في معرفة الإيمان على الكتاب و السنة لن يعرف الإيمان الذي خلقه الله سبحانه و تعالى لأجله و أوجده لتحقيقه ولهذا قال الشيخ هنا : فأهل السنة يعتقدون ما جاء به الكتاب والسنة من أن الإيمان هو تصديق القلب المتضمن لأعمال الجوارح هذه حقيقة الإيمان ، أي أن الإيمان كما أنه في القلب أيضا في الجوارح في القلب تصديقًا و إقرارا و إذعانا ، و في الجوارح طوعية و امتثالا و انقيادا واستسلاما ، فهذه حقيقة الإيمان ، زيادة في التوضيح و البيان لهذا الأصل قال : فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب و أعمالها و أهمل الجوارح و أقوال اللسان و أنها كلها من الإيمان هذه الأربعة الأشياء كلها داخله في مسمى الإيمان ، أربعة أشياء كلها داخله في مسمى الإيمان ، الأمر الأول اعتقادات القلوب وهذا أساس بل هو أصل الدين و أساس قيامه اعتقادات القلوب ، وهي الإيمان بملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره فهذه داخله في الإيمان بل هي أصل الإيمان الذي عليه يُبنى ، الأمر الثاني

أعمال القلوب ،وهي زائدة على اعتقادات القلوب الأعمال القلبية مثل الرجاء، الخوف، التوكل، الإنابة، المحبة إلى غير ذلك من الأعمال القلبية فهذه أيضا داخلة في مسمى الإيمان وسيأتي معنا في الحديث (والحياء شعبة من شعب الإيمان) والحياء محله القلب، الأمر الثالث، قال: وأعمال الجوارح، أي الأعمال التي يقوم بها العبد بجوارحه فهي أيضا داخلة في مسمى الإيمان من صلاة و صيام و حج و غير ذلك هذه كلها أعمال داخلة في مسمى الإيمان، الأمر الرابع: أعمال اللسان من تسبيح و تهليل و ذكر لله جل و علا و تلاوة للقرآن فهذا كله داخل في مسمى الإيمان، إذن يقولون الإيمان اعتقادات القلوب و أعمالها وأعمال الجوارح و أقوال اللسان، و أنها كلها من الإيمان، وهنا أيها الأخوة أقف وقفة أرجو أن تكون نافعة لنا أجمعين في هذا المطلب المهم والمقصد الجليل فأذكر لكم خمسة أحاديث تنتبهون لها جيّدًا خمسة أحاديث جمعت حقيقة الإيمان إذا عرفت هذه الأحاديث الخمسة إذا عرفت ما ضبطتها و اعتنيت بها علما و عملا اجتمعت لك حقيقة الإيمان التي تفرق ذكرها وبيانها في نصوص كثيرة، فخمسة أحاديث عظيمة تجمع لك كل ما يتعلق بالإيمان من أصول و فروع، وكل ما هو داخل في مسمى الإيمان فارعها سمعك و أعطها اهتمامك، الحديث الأول حديث جبريل المشهور وفيه أن جبريل قال للنبي عليه الصلاة و السلام أخبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و أن تؤمن بالقدر خيره و شره) ذكر في بيان الإيمان هذه الأمور الستة قال: أخبرني عن الإيمان ما هو فقال النبي عليه الصلاة و السلام: (الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و أن تؤمن بالقدر خيره و شره) فأفاد هذا الحديث في بيان حقيقة الإيمان أن الإيمان يقوم على أصول ستة يقوم على أركان ستة مكانها القلب لا يقوم الإيمان إلا عليها، فبين صلى الله عليه و سلم في هذا الحديث أركان الإيمان التي عليها يُبنى الإيمان، الحديث الثاني حديث ابن عباس وهو في الصحيحين في ذكر وفد عبد القيس عندما جاءوا النبي صلى الله عليه و سلم و قالوا: يا رسول الله، مرنا بقول فصل نخبر به من وراءنا و ندخل به الجنة، قال: (أمركم بالإيمان بالله أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: و ما الإيمان بالله؟ قال: (شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة، و صوم رمضان و، و أن تعطوا الخمس من المغنم) هذه التي ذكرت في هذا الحديث كلها أعمال ظاهرة الشهادتان و الصلاة، و الصيام، و الصدقة، هذه كلها أعمال ظاهرة، فجعل عليه الصلاة و السلام هذه الأعمال الظاهرة داخلة في مسمى الإيمان، في ضوء الحديثين حديث جبريل و حديث وفد عبد القيس عرفنا أن اسم إيمان هذا الاسم يشمل العقائد التي تكون في القلب و يشمل أيضا الأعمال التي تكون في الجوارح الصلاة إيمان الصيام إيمان الحج إيمان في شأن الصلاة قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ الْمُقِيمِ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾* أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حقا { فالصلاة إيمان، و الزكاة إيمان، بر الوالدين إيمان، صلة الأرحام إيمان، جميع الطاعات التي أمرنا بها داخلة في مسمى الإيمان، الحديث الثالث حديث أبي هريرة في الصحيحين عن النبي صلى

الله عليه و سلم أنه قال : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، و لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبه يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) وذكر هذه الأمور الأربعة ليس للحصر، وإنما هذه من أبرز المحرمات ، فأفاد هذا الحديث فائدة عظيمة جدا في معرفة حقيقة الإيمان ألا وهي أن الإيمان كما أنه يشمل عقائد القلوب ، ويشمل أعمال الجوارح فإنه كذلك يشمل ترك المحرمات ، والبعد عن ما نهى الله سبحانه و تعالى عنه ، فترك السرقة ، والبعد عن الزنا ، والبعد عن القتل ، والبعد عن شرب الخمر ، والبعد عن الانتهاب إلى غير ذلك من المحرمات ، البعد عن الربا ، البعد عن الغش ، البعد عن الكذب إلى غير ذلك من المحرمات ، البعد عنها وتركها هذا جزء من إيمانك ، ولهذا إذا فعل الإنسان شيء للمحرمات ماذا يحدث لإيمانه ؟ ينقص ، إذا فعل شيء من هذه المحرمات نقص إيمانه و ضعف ، ولهذا أهل السنة من قواعدهم في هذا الباب أن الإيمان يزيد و ينقص ، يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية ، فالمعاصي تنقص الإيمان ، إذا كانت المعاصي تنقص الإيمان و تضعفه فإن ترك المعاصي تقرباً لله و طلباً لثوابه زيادة في إيمان الشخص ، إذن هذا الحديث حديث أبي هريرة (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) إلى آخره يفيد أن ترك المعاصي و البعد عن المحرمات داخل في مسمى الإيمان ، ما وجه دخوله ؟ أن النبي عليه الصلاة و السلام نصّ في هذا الحديث على انتفاء الإيمان الواجب في حق من فعل هذه الآثام ، قال : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) النفي هنا للإيمان ليس لأصله و إنما نفي للإيمان الواجب ، فدلّ ذلك على أن الإيمان ينقص بفعل هذه الأشياء و بتركها يكون الترك زيادة في الإيمان ، هذا الحديث الثالث ، الحديث الرابع حديث مشهور عند أهل العلم بحديث الشعب و أشار إليه المصنف - رحمه الله تعالى - في ما سيأتي وهو في الصحيحين و غيرها ، أن النبي عليه الصلاة و السلام قال : (الإيمان بضع و سبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، و أدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان) (الإيمان بضع و سبعون شعبة) أي الإيمان في شعبه و خصاله و خلاله تزيد عن السبعين شعبة ، من أهل العلم من قال إن المراد بالسبعين تعيين العدد ، و منهم من قال : تكثير الشعب لا التعيين للعدد ، أي أن شعب الإيمان كثيرة جدا ، فقال : (الإيمان بضع و سبعون شعبة) ثم بيّن حقيقة الإيمان وما يدخل في مسماه ، وما هو من شعبه ، قال : (أعلاها قول لا إله إلا الله ، و أدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان)، قول لا إله إلا الله من الإيمان هذا بل هو أعلى الإيمان ، و المراد بقول لا إله إلا الله أي: باللسان نطقاً ، وبالقلب اعتقاداً ، و أهل العلم يقولون: القول إذا أطلق في الكتاب والسنة يشمل قول القلب عقيدة و قول اللسان نطقاً و تلفظاً مثل قول الله تعالى : { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ } ما المراد بها ؟ أي : قولوا بقلوبكم معتقدين و بألسنتكم ناطقين و متلفظين ، هذا هو المراد ليس المراد قول اللسان أي تحريك اللسان فقط بذلك ، بل المراد قولها بالقلب عقيدة و قولها باللسان نطقاً و تلفظاً ، هذا أعلى الإيمان ، قال: (و أدناها) أي أدنى شعب الإيمان (إمطة الأذى عن الطريق) سمى النبي عليه الصلاة و السلام إمطة الأذى عن الطريق إيماناً مع أنه عمل من

أعمال الجوارح ،إماطة الأذى عن الطريق عمل تجد أذى في طريق المسلمين فتأخذه بيدك و تنحيه عن طريقهم هذا عمل ،وهو جزء من الإيمان داخل في مسمى الإيمان ،لأنه النبي عليه الصلاة و السلام قال: (وأدناها) أي أدنى شعب الإيمان (إماطة الأذى عن الطريق) فهذا عمل داخل في مسمى الإيمان بصريح حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال : (والحياء شعبة من شعب الإيمان) والحياء عمل قلبي فهذا يفيد أن أعمال القلوب ومنها الحياة داخله في مسمى الإيمان إذا نظرنا إلى مجموع هذه الأحاديث الأربعة العقائد القلبية من الإيمان ،أعمال الجوارح داخله في مسمى الإيمان ،ترك المحرمات و البعد عن الآثام داخل في مسمى الإيمان ، أعمال القلوب الحياء والخشية و الرجاء وإنابة و توكل على آخره داخل في مسمى الإيمان فالإيمان يتناول ذلك كله، الحديث الخامس: حديث سفيان ابن عبد الله الثقيفي قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك ،قال : (قل آمنت بالله ثم استقم) وهذا فيه بيان عظيم أيضا يتعلق بحقيقة الإيمان (قل آمنت بالله)أي: قل ذلك بقلبك معتقدا و بلسانك ناطقاً متلفظاً (ثم استقم) أي: ألزم الاستقامة التي تقتضيها هذا الاعتقاد و هذا النطق ،وهذا يدل أن النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله الله يستلزم و يقتضي استقامة العبد على طاعة الله جل و علا وامتنال أوامره سبحانه ، والبعد عن نواهيه ولهذا قال : (قل آمنت بالله ثم استقم) فهذه أيها الأخ الموفق خمسة أحاديث عظيمة جداً جمعت لك حقيقة الإيمان فلتعتن بها مذاكرة ،و لتعتن بها عملاً و تطبيقاً لئتم لك بإذن الله تبارك و تعالى إيمانك .

يقول الشيخ -رحمه الله - لما ذكر أن الإيمان يشمل عقائد القلوب وأعمال القلوب و أعمال الجوارح و أقوال اللسان ،لما ذكر أنه يشمل هذه الأمور كلها قال و أن أكملها ظاهراً و باطناً فقد أكمل الإيمان ، من أكملها ظاهراً و باطناً لا أن يكملها في الظاهر دون الباطن أو الباطن دون الظاهر بل الإيمان يشمل الظاهر والباطن ، خلاف ما استقر في نفوس كثير من الجهال عندما يحصرّون الإيمان في القلب فقط ،و يبعدون أعمال الجوارح عن مسمى الإيمان و يأتي هذا على السنة كثير من العوام لما يؤمر بصلاة أو صيام أو غير ذلك أو يُنهى عن محرمات ماذا يقول بعضهم ؟ يقول الكلام عن القلب يؤمر بالأوامر و يُنهى عن نواهيه يمتنع و يقول الكلام عن القلب ، ربما استدلل في الحديث على غير بابه (التقوى ها هنا) يقول عليه الصلاة و السلام (التقوى ها هنا) و يشير إلى صدره ، و ربما قال بعض العوام في مثل هذا المقام و أنا الحمد لله قلبي نظيف ،بعضهم يقول أنا الحمد لله قلبي أبيض مثل القشطة ،لكن ما يصلي يمتنع من الصلاة ،و يفعل المحرمات و يرتكب الآثام و إذا قيل له يقول لا الكلام على القلب و أنا الحمد لله قلبي أبيض، قلبي طاهر، قلبي نقي ،و الكلام كله عن القلب هذا إلغاء و تعطيل لحقيقة الإيمان الشرعية التي دلّ عليها كتاب الله و سنة نبيه عليه الصلاة و السلام و جاهل بحقيقة الإيمان ، على أن النبي عليه الصلاة و السلام قد بيّن أن القلب إذا صلح فعلاً بالإيمان الجوارح تصلح تبعاً له، فيكون قول القائل الممتنع عن التزام أعمال الدين الظاهرة بحجة أن قلبه طيب أو طاهر أو نحو ذلك أن هذه دعوة

فارغة من الحقيقة وعارية من الصدق ،لأن النبي عليه الصلاة و السلام يقول : (ألا أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ،و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) فالجوارح تبع للقلب ،ولا يمكن أن تتخلف الجوارح عن مرادات القلب ،فإذن الإيمان حقيقة شرعية دلّ عليها كتاب الله وهو يتناول اعتقادات القلوب، يتناول أقوال اللسان، يتناول أعمال القلوب أعمال اللسان و أعمال الجوارح ،هذه كلها داخلة في مسمى الإيمان فمن كملها ظاهراً و باطناً كمل إيمانه ، ومن انتقص منها شيئاً فقد انتقص من إيمانه ،هنا لابد أن نفهم أمراً مهماً للغاية وهي أن هذه الأمور الداخلة في مسمى الإيمان ما حجم تأثيرها على الإيمان عندما تنقص أو عندما تذهب؟ هل هي على درجة واحدة ؟ الجواب لا ،هي على ثلاث درجات ،هذه الأمور الداخلة في مسمى الإيمان في حجم تأثيرها على الإيمان ليست على درجة واحدة ،هي على ثلاث درجات أو ثلاثة أقسام :

القسم الأول من هذه الأمور الداخلة في مسمى الإيمان : ما إن ذهب ذهب الإيمان كلية ،و لم يبقَ للإيمان وجود ،مثل أصول الإيمان :أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر ،يعني مثلاً لو شك الإنسان في وجود الملائكة أو جهلاً بالأنبياء أو بعض الأنبياء أو كذب ببعض الكتب ،أو أنكر القدر أو غير ذلك من الأصول ،هذه الأصول من الإيمان وهي أصول للإيمان و إذا ذهبت أو ذهب شيء منها ذهب الإيمان كلية ،وبطل الدين برمته { وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } و من ذلك الأمور التي هي كفر ناقل من الملة مثل ترك الصلاة ،و مثل سب الدين أو الاستهزاء أو غير ذلك من الأعمال الكفرية هذه إذا وجد شيء منها خرج الإنسان من الدين و انتقض الدين برمته؛ لأنها قاذحة في أصل الدين ،مبطله للدين كله ،فهذا قسم من الأقسام .

القسم الثاني :ما يكون ذهابه مؤثراً في كمال الإيمان الواجب وهذا شاهده في الحديث (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) من سرق أو زنا أو شرب خمرًا - والعياذ بالله- ماذا يحدث لإيمانه ؟ هل يذهب إيمانه بالكلية هل يبطل إيمانه كلية ؟ الجواب لا ،هل يبقى إيمانه ثابتاً لم ينقص الجواب لا ،إذن ما الذي حدث لإيمانه ؟ نقص كمال إيمانه الواجب ، و من ينقص كمال الإيمان الواجب في حقه يستحق أن يُنفى عنه الإيمان ،ولهذا يأتي في النصوص نفى الإيمان و المراد نفى كمال الإيمان الواجب و ليس المراد نفى أصل الإيمان مثل حديث أبي هريرة هذا ، فإذا نوع من هذه الأنواع أو قسم من هذه الأقسام إذا حصل نقص كمال الإيمان الواجب .

القسم الثالث من هذه الأقسام :إذا نقص نقص كمال الإيمان المستحب ،إمالة الأذى عن الطريق واجب أم مستحب ؟ مستحب ، فمن لم يمسح الطريق ماذا حصل لإيمانه ؟ هل نقص إيمانه الواجب أو نقص إيمانه المستحب ؟ و الفرق بين نقص الإيمان الواجب و نقص الإيمان المستحب ،أن الإيمان الواجب إذا

نقص يُعاقب الإنسان على ذلك و يُحاسب ، و أما الإيمان المستحب إذا نقص لا يُعاقب الإنسان عليه إن فعله أئيب و إن لم يفعل لم يُعاقب هذا هو الفرق بين نقص الإيمان الواجب و نقص الإيمان المستحب ،الإيمان الواجب إذا نقص يُحاسب الإنسان و يُعاقب على ذلك ،و الإيمان المستحب إذا نقص لا يُعاقب بل إن فعله العبد أئيب و إن لم يفعل لم يُعاقب، فهذه خصال الإيمان تنقسم إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : إذا ذهب ذهب الإيمان من أصله و برمته .،

و القسم الثاني: إذا ذهب نقص كمال الإيمان الواجب .

و القسم الثالث: إذا ذهب أو نقص نقص كمال الإيمان المستحب .

و هذا أيضا معرفته تفيد في باب مراعاة الأوليات في أمور الدين و القيام بها ،مثل ما رُعيت في ترتيب نزول الشرائع أو ما نزل التوحيد و النهي عن الشرك و بقي الأمر على ذلك عشر سنوات ،ثم نزلت فريضة الصلاة و بقي الأمر على ذلك قرابة خمس سنوات ،ثم نزلت فريضة الصيام و الزكاة ثم بقي الأمر قرابة خمس سنوات ،ثم نزلت فريضة الحج ،فمعرفة الترتيب في أمور الدين و أولوياته و تأثير هذه الأمور على أمور الدين يعطي الإنسان عناية دقيقة بدينه من حيث القيام به ،الآن ترى في جهال الناس من يؤدي فريضة الحج و لا يصلي أو يتهاون في صلاته ،هل هذا عرف الدين ؟ وهل هذا عرف حقيقة الدين و حقيقة الإيمان ؟ و ترتيب الشرائع ؟ هل عرف مكانة الصلاة في الإسلام ؟ هل عرف تأثير ترك الصلاة على الحج ؟ فدائما عندما يجهل الإنسان حقيقة الإيمان المبنية على الكتاب و السنة يقع في أنواع من الخلل ،أحيانا ترى بعض الناس يحافظ على بعض المستحبات محافظة دقيقة جدا و يضيع فرائض و أحيانا يشغل وقته بالمستحب على حساب فريضة من الفرائض،الفريضة إذا تركها أثرت في إيمانه الواجب ،و ربما إذا كانت مثل الصلاة أبطلت الدين (العهد الذي بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) و إذا كان من مستحبات الدين لو تركه لا يُعاقب لكنه إن فعله أئيب و ينبغي عليه أن يعتني بالمستحب لكن لا يكون عنايته بالمستحبات على حساب الفرائض و الواجبات ،فهذه مسألة مهمة ينبغي للمسلم أن يكون على عناية بها .

قال الشيخ ملخصا ما سبق بالحديث قال : وهذه الأمور بضع و سبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله و أدناها إمطة الأذى عن الطريق و الحياء شعبة من شعب الإيمان ،وهنا -رحمه الله - ذكر لفظ الحديث الذي في الصحيحين ،حديث أبي هريرة (الإيمان بضع و سبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله و أدناها إمطة الأذى عن الطريق و الحياء شعبة من شعب الإيمان) وهذا الحديث عظيم جدا في معرفة حقيقة الإيمان و أنه له شعب كثيرة و أن له أعلى و أدنى أي أن شعبه ليست على درجة واحدة ،وهناك شعب قريبة للأعلى و هناك شعب قريبة للأدنى ، و يكون عناية العبد بإيمانه بدء من الأعلى ،بدء من أعلاها أقول لا إله إلا الله ثم أصول الإيمان ثم مباني

الإسلام ثم بقية فرائض الدين و هكذا يعتني بها المسلم عناية دقيقة و يحرص على تطبيقها ،وقوله أعلاها و أدناها يدل على أن أهل الإيمان متفاوتون في الإيمان ؛ لأن تطبيق الناس لهذه الشعب و قيامهم بها ليسوا فيه على درجة واحدة بل هم فيه متفاوتون فالإيمان يزيد و ينقص و يقوى و يضعف بحسب حال الناس مع شعب الإيمان .

القارئ :قال : ويرتبون على هذا الأصل أن الناس في الإيمان درجات مقربون وأصحاب يمين ،وظالمون لأنفسهم ،بحسب مقاماتهم من الدين والإيمان، وأنه يزيد وينقص فمن فعل محرماً أو ترك واجباً نقص إيمانه الواجب ما لم يتب إلى الله.

الشيخ :هذه جملة عظيمة مترتبة على ما سبق ،على فهم الإيمان في ضوء ما سبق مما دل عليه الكتاب والسنة ،قال : و يرتبون – أي أهل السنة – على هذا الأصل أن الناس في الإيمان درجات ،يرتبون على ما سبق أن الناس في الإيمان درجات مقربون ،و أصحاب يمين، و ظالمون لأنفسهم ،لماذا انقسم أهل الإيمان إلى هذه الأقسام الثلاثة مقربون و أصحاب يمين و ظالمون لأنفسهم ،لماذا انقسموا لهذه الأقسام الثلاثة ؟

لأننا عرفنا قبل قليل ما هي الأمور التي يشملها الإيمان ، هل جميع أهل الإيمان قاموا بهذه الأمور كاملة تامة ؟ الجواب لا ،الجواب أن أهل الإيمان في قيامهم بخصال الإيمان منقسمين إلى ثلاث درجات منقسمين إلى ثلاث أقسام :

القسم الأول : المقربون ،و يُقال لهم أيضا السابقون ،و يُقال لهم أيضا المحسنون، هؤلاء فعلوا واجبات الدين و فرائض الإسلام ،و تجنبوا المحرمات و الآثام ،و زادوا على ذلك حفاظا و رعاية و عناية بالمستحبات ،و النوافل و الرغائب محققين قول الله تعالى في الحديث القدسي : ((ما تقرب عبدي إلي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ،ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) فهم اعتنوا بالفرائض و تجنبوا المحرمات و لا يزالون يتقربون إلى الله بالنوافل زيادة على الفرائض وترك المحرمات ،لا يزالون يتقربون إلى الله بالنوافل و الرغائب حتى بلغوا هذه الرتبة العلية من الدين رتبة المقربين ، رتبة السابقين ،رتبة المحسنين ،أتقنوا الدين و أجادوا الطاعة و العبادة وبلغوا الذروة ،فهذا القسم الأول .

القسم الثاني :يُقال لهم أصحاب اليمين ،أيضا يُقال لهم المقتصدون، وهم الذين فعلوا الواجبات و تجنبوا المحرمات ،الواجب يحافظ عليه ،فرائض الإسلام يحافظ عليها لا يضيعها ،و المحرمات أيضا يتعد عنها ، لكن الرغائب والنوافل و المستحبات ليست عنده همة و نشاط للعناية بها ،مثل صيام النوافل وصدقة النوافل ،وصلاة النوافل ،وغير ذلك من الأعمال المستحبة التي هي ليست واجبة ليس عنده نشاط فيها ،لكنه مقتصد الواجب يفعلها و المحرم يتركه لكن الرغائب ليس عنده همة للعناية بها هذا القسم الثاني .

القسم الثالث: الظالم لنفسه ،باقي على أصل الإسلام لم يكفر لم يفعل مكفراً ناقلاً من الملة ،باقي على أصل الإسلام ،لكنه يفعل بعض المحرمات التي فعلها ليس كفراً ،و أيضاً يترك بعض الواجبات التي تركها ليس كفراً ،فيكون مؤمناً عاصياً ،مؤمناً ظالماً لنفسه بالعصيان ،بالذنوب بالمعاصي .

فأهل الدين ثلاث درجات ،و قد جمع الله سبحانه و تعالى هذه الدرجات الثلاث في قوله : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا } الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا { انتبه لقوله { الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا { وقوله { مِنْ عِبَادِنَا { و ذكر أن هؤلاء الذين اصطفاهم وهم عباد له ثلاث درجات { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا { من هم ؟ { جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا { الثلاثة أو اثنان أو واحد ؟ { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ { ثم قال رب العالمين { جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا { من هم ؟ الثلاثة الظالم لنفسه و المقتصد والسابق بالخيرات الواو تشملهم { جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا { تشملهم جميعا { يَدْخُلُونَهَا { أي الظالم و المقتصد و السابق بالخيرات كلهم يدخلون الجنة ،لكن يقول أهل العلم :المقتصد والسابق بالخيرات يدخلون الجنة دخولا أوليا ،أي بدون حساب و لا عذاب ؛لأن المقتصد فعل الواجب و ترك المحرم لا يُعذب يدخل الجنة بدون عذاب ، و السابق بالخيرات من باب أولى من دون عذاب ،فكل من المقتصد و السابق بالخيرات يدخل الجنة دخولا أوليا بدون حساب و لا عذاب ، و الظالم لنفسه يدخل الجنة لكن قد يدخل قبل ذلك النار للتطهير ،نعم يدخل الجنة لكن لا يلزم من ذلك أن يكون دخوله للجنة دخولا أوليا ، بل قد يسبق ذلك مرحلة تطهير و تنقية ،فالجنة دار الطيب المحض ،فإذا كان الإنسان يوم القيامة مشوباً بخبث المعاصي و خبث الكبائر فإنه عرضة للعذاب عرضة لدخول النار دخولا يُطهر فيها من درن المعاصي و وسخ الذنوب ،ولهذا يقول ابن القيم —رحمه الله — في الدنيا ثلاثة أنهر من تطهر بها طهرته ، الحسنات الماحية و المصائب المكفرة و التوبة النصوح هذه تطهر الإنسان من ذنوبه في الدنيا ، ومن لم يتطهر بها في الدنيا طهره الله عز و جل في نهر جهنم يوم القيامة ،طهره الله في نهر جهنم يوم القيامة ،يعني إن كان مسلماً ،قوله : طهره الله في نهر جهنم أي إن كان مسلماً ،أما غير المسلم لا يدخل النار ليتطهر ،المشرك الكافر الملحد الزنديق المنافق هؤلاء كلهم لا يدخلون الجنة من أجل التطهير ؛ لأن خبث الكفر و خبث الشرك لا تطهره النار ،و لهذا يدخلون النار لا لأجل التطهير و إنما لأجل الخلود فيها أبد الآباد ،أما المسلم العاصي الظالم لنفسه بالمعاصي والذنوب فهذا يدخل النار ليُطهر من درن الذنوب والمعاصي و الآثام ثم بعد ذلك يُخرج منها ،وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي عليه الصلاة و السلام ذكر صفة خروج أهل الكبائر من النار الذين فعلوا الكبائر في الدنيا و لقوا الله عز و جل بها ذكر عليه الصلاة و السلام صفة خروجهم من النار ،قال عليه الصلاة و السلام عن أهل الكبائر أن الله عز و جل و الحديث بمعناه (إذا أذن الله جل و علا بخروجهم من النار أماتهم النار إماتة حتى يكونون فيها مثل الفحم —يعني مثل قطع الفحم— ثم

يخرجهم الله ضبائر ضبائر — أي جماعات جماعات ، لأنهم متفاوتون في الكبائر في الدنيا — ثم يخرجهم الله ضبائر ضبائر ثم يُلْقون في نهر الفردوس) تُلقى هذه القطع المنفحة في نهر الفردوس ، قال عليه الصلاة و السلام : (فيحيون بمائه كما تنبت الحبة في .. السيل) إذا جئت للوادي تجد على جنبي الوادي من يمينه و شماله الزروع النابتة فهؤلاء يلقون في نهر الفردوس و يقذفهم نهر الفردوس على جنبيه و يحيون بماء نهر الفردوس ، ثم يؤذن لهم بدخول الجنة و التنعم بنعيم أهل الجنة لكنهم لم يدخلوا الجنة إلا بعد أن تطهروا ، ومن الخير للعبد أن يتطهر في الدنيا قبل أن يُطهر في النار يوم القيامة ،عنده فرصة الآن يتطهر من الذنوب بالتوبة ،و من نعم الله سبحانه و تعالى أن التوبة تحب ما قبلها و تخدم ما قبلها حتى لو كان الذي قبلها ركام من المعاصي و الذنوب ، الله جل و علا لا يتعاضمه ذنب أن يغفره { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } فيتوب إلى الله جل و علا من ذنوبه و معاصيه ،والتوبة تحب ما قبلها و تخدم ما كان قبلها مهما عظم الذنب ،ومهما كبر الجرم ، {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر : ٥٣] فمهما كان ذنب العبد لا يتعاضم ذنبا أمام عفو الله ،بل يتب إلى الله جل و علا من ذنبه و الله جل و علا يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات ،أيضا يكثر من الحسنات قال الله تعالى : {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} ،قال النبي عليه الصلاة و السلام لأبي ذر : (اتبع السيئة الحسنة تمحها) فالإكثار من الحسنات أيضا يكفر ، و أيضا الصبر على المصائب العبد لابد أن يُبتلى في الدنيا بمصائب في صحته في بدنه في ولده في ماله في تجارته في بيته إلى آخره ،فيصبر و يحتسب و المصائب كما قال نبينا عليه الصلاة و السلام كفارات ،و الأمراض مطهرات قال عليه الصلاة و السلام لمريض : (طهور إن شاء الله) أي هذا فيه تطهير لك ، فيحتسب الإنسان ذلك عند الله جل و علا ،و يجاهد نفسه في إصلاحها بالتوبة و بفعل الطاعات ،وبالصبر على المصائب ،ويكون في ذلك كله تمحيص و تطهير له ،وهذا خير للعبد من أن يكون تمحيصه في نهر جهنم — حمانا الله عز و جل و حماكم و وقانا و وقاكم — فإذا هذه أقسام ثلاثة قال : {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} وهؤلاء الثلاثة كلهم يدخلون الجنة ،لكن السابق و المقتصد دخولهم لها دخولا أوليا ،و الظالم لنفسه يدخل الجنة لكنه قد يمر قبل ذلك بمرحلة تطهير و تنقية في النار ،وبعد ذلك يكون دخوله الجنة ،قال : ويرتبون على هذا الأصل أن الناس في الإيمان درجات مقربون و أصحاب يمين و ظالمون لأنفسهم بحسب مقاماتهم من الدين و الإيمان ، و أنه يزيد و ينقص فمن فعل محرما أو ترك واجبا نقص إيمانه الواجب ما لم يتب إلى الله ،من تاب تاب الله عليه ، من تاب في ترك الواجب أو تاب في فعل المحرم تاب الله عليه ، الله عز و جل من أسماءه التَّوَاب يقبل التوبة ،مهما كان ذنب الإنسان ،وهو القائل { لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ } أي توبوا إلى الله ،وهو جل و علا يقبل التوبة و الواجب على العبد ألا يقنط ،و ألا يئس بل يتوب إلى الله عز و جل من ذنوبه

كلها و معاصيه كلها ،والله سبحانه و تعالى يقبل توبته، فإذا الإيمان ينقص بفعل المحرمات ،و ترك الواجبات ،لكن بقيد ألا يكون المحرم كفرا ؛لأنه إذا كان المحرم كفرا فالإيمان يذهب كلية ،وأيضاً لا يكون الواجب المتروك تركه كفرا ؛ لأن إن ترك واجبا يكفر بتركه لا يُقال نقص إيمانه و إنما يُقال يذهب إيمانه بالكلية ،فمن فعل محرماً أو ترك واجبا نقص إيمانه الواجب ما لم يتب إلى الله أي من خطأه و ذنبه و تقصيره ،ومن تاب تاب الله عليه ، بعض الناس على كبر في سنه و ينظر إلى تاريخه الطويل ستين سنة سبعين أقل أو أكثر ،و ينظر إلى التاريخ و يجد مليء بالآثام و المعاصي و بالذنوب و بترك الواجبات و فعل المحرمات إلى آخره ،و يأتيه الشيطان و يملأ قلبه يئسا و قنوطا ،بيئسه من رحمة الله و يقنطه من روح الله ،ويعظم هذه الذنوب و هذا التاريخ في حياته ، ولا يزال الشيطان يحاول معه ألا يتوب من تلك الذنوب لكثرتها و عظمها إلى أن يموت و العياذ بالله و هو غير تائب منها ،مع أن ذاك التاريخ الطويل المليء بالمعاصي و الذنوب و الأخطاء إن صدقت مع الله جل و علا و تبت توبة صادقة مع الله و لم تعش بعد توبتك إلا لحظات كل هذه يمحوها الله سبحانه و تعالى ،و فضل الله عظيم ،ولهذا لقي مرة الحسن البصري-رحمه الله - رجلا وكان على قدر من التقصير فوعظه و ذكره بطريقة نافعة قال له : كم تبلغ من العمر ؟ قال : أبلغ ستين سنة ، قال :أما علمت أنك في طريق وقد أوشكت أن تصل إلى نهايته ؟! -يعني بالموت - قال الرجل : إنا لله و إنا إليه راجعون ، قال له الحسن : أو تدري تفسير هذا الكلام إنا لله و إنا إليه راجعون ؟ -أن تقولها الآن لكن هل تعرف ما معناها ؟ - فال :وما معناها ؟ قال :إنا لله : أي أن لله عبد ، و إنا إليه راجعون أي أنا إليه راجع ،فإذا علمت أنك لله عبد ،و أنك إليه راجع فاعلم أنه سائلك ، و إذا علمت أنه سائلك فاعد للمسألة جوابا ،أما أن تقول إنا لله و إنا إليه راجعون و أنت لا تدري ماذا تقول و لا تعي ماذا تقول ،قال : إنا لله و إنا إليه راجعون أي أنا لله عبد و أنا إليه راجع ،فإذا علمت أنك لله عبد و أنك إليه راجع فاعلم أنه سائلك ،و إذا علمت أنه سائلك فاعد للمسألة جوابا ، أنت عبد لله و سترجع إلى الله و رب العالمين سيسألك عن كل ما قدمت في هذه الحياة ،فاعد للمسألة جوابا قال الرجل : ما الحيلة ؟ -أدرك الآن تقصيره و خطأه و أنه ينبغي أن يتدارك الأمر ولهذا قال ما الحيلة ؟ - قال :يسيرة أحسن فيما بقي يُغفر لك ما قد مضى ،فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت فيما مضى و فيما بقي،وهذه الجملة أحسن فيما بقي إلى آخره ثبتت مرفوعة إلى نبينا عليه الصلاة و السلام أحسن فيما بقي يُغفر لك ما قد مضى ، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت فيما مضى و فيما بقي ،ولهذا الإنسان ينبغي أن يتغائم نعمة الله عليه ،وتيسيره له وتوفيقه ومن أكرمه الله عز و جل بالحج الحج يهدم ما كان قبله و الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة و من حج و لم يرفث و لم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ،فيتوب إلى الله سبحانه وتعالى توبة صادقة من كل ذنوبه و خطاياهم ،و من كل آثامه و جنائياته و من كل أخطاءه و تقصيراته يتوب من ذلك كله و يستقبل فيما بقي من أيامه حياة جديدة عامرة بالخير بالإيمان بالصدق ،بالإقبال على الله سبحانه و تعالى .

القارئ : قال : ويرتبون على هذا الأصل أن الناس ثلاثة أقسام:

منهم من قام بحقوق الإيمان كلها فهو المؤمن حقاً.

ومنهم من تركها كلها فهذا كافر بالله تعالى .

ومنهم من فيه إيمان وكفر أو إيمان ونفاق أو خير وشر ففيه من ولاية الله واستحقاقه لكرامته بحسب ما معه من الإيمان، وفيه من عداوة الله واستحقاقه لعقوبة الله بحسب ما ضيعه من الإيمان.

الشيخ :قال : ويرتبون على هذا الأصل : أي الأصل المتقدم الذي فيه بيان حقيقة الإيمان وماذا يشمل ، قال : و يرتبون على هذا الأصل أن الناس ثلاثة أقسام ،الناس يعني عمومًا مسلمهم و كافرهم ،الناس ثلاثة أقسام ،القسم الأول من قام بحقوق الإيمان كلها ، أي عناية بالواجبات و الفرائض و بعدا عن المحرمات و المنهيات ،قام بحقوق الإيمان كلها ،فهؤلاء هم المؤمنون حقاً ،أو إن شئت قل المؤمنون الكامل ، قال الله سبحانه : { **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** * **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** * **أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** } هذا القسم الأول المؤمنون الكامل ،و العبد يجتهد مع نفسه أن يكمل إيمانه ،ولا يجزم يوماً من الأيام أنه كمل إيمانه ،بل ينبغي أن يجتهد و يجتهد و يحس في قرارة نفسه أنه لا يزال مقصراً ، لا يأتي على الإنسان يوم يقول أنا كملت إيماني بل مهما فعلت و مهما جئت به من الواجبات و تركت من المحرمات عليك أن تشعر أنك لا زلت مقصراً ،قال الله تعالى : { **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** } يقدمون ما قدموا من الطاعات و العبادات وقلوبهم خائفة ،المؤمن كما قال الحسن :جمع بين إحسان ومخافة ،و المنافع جمع بين إساءة و أمن ، فينبغي على العبد أن يجتهد في الترقى في كمالات الإيمان وأمور الدين و شعبه ،وهو مع ذلك في كل وقت لا يزال يحس و يشعر بتقصيره وهو خائف من الله سبحانه و تعالى و من أن تُرد أعماله ،هذا القسم الأول ،من قام بحقوق الإيمان كلها فهو المؤمن حقاً .

الثاني :من تركها كلها هذا كافر بالله ،من تركها كلها فهو كافر بالله ،سواء كان تركها كلها أو جاء بمكفر مبطل للأعمال حتى و إن فعل شيئاً قليلاً او كثيراً من شعب الإيمان و خصال الدين ،إذا جاء بمكفر المبطل للأعمال حبطت أعماله ،ولم يستفد منها ، كما الله سبحانه و تعالى : { **وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ** } فالقسم الثاني هو من تركها كلها أو وقع في مكفر ناقل من الملة و مات عليه ،فهذا كافر بالله سبحانه و تعالى .

القسم الثالث : من فيه إيمان و كفر،أو إيمان و نفاق أو خير و شر ،من فيه إيمان و كفر و إيمان ونفاق لينتبه هنا أن المراد بالكفر ليس الكفر الناقل من الملة ؛لأن الكفر الناقل من الملة إذا وجد لا يجتمع مع الإيمان ،الإيمان ينتفي لأنه ينقض الإيمان ،وكذلك النفاق ليس المراد به النفاق الناقل من الملة لأن النفاق الناقل من الملة لا

يبقى معه إيمان ،فمراد الشيخ بقوله من فيه إيمان و كفر أي كفر عملي ليس ناقل من الملة ،مثل قوله عليه الصلاة و السلام : (سباب المسلم فسوق ،وقتاله كفر) وقوله : (اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في الأنساب و النياحة على الميت) (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) هذه من الكفر العملي وإذا وجدت ليست تخرج صاحبها من الملة ،وهي تجتمع مع أصل الإيمان فهذا مراد الشيخ بقوله : من فيه إيمان و كفر يعني فيه إيمان و فيه كفر عملي ،و أيضا من فيه إيمان و نفاق ،ليس المراد بالنفاق هنا النفاق الاعتقادي ،النفاق الاعتقادي لا يبقى معه إيمان ،بل يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ،لكن المراد بالنفاق هنا النفاق العملي مثل ما جاء في الحديث (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب و إذا وعد أخلف و إذا أؤتمن خان) فهذه الأمور الكذب، الخيانة ،عدم الوفاء ،هذه الأمور قد تجتمع مع أصل الإيمان بمعنى أنها قد توجد في الإنسان و لا يكون كافرا ،فإذن القسم الثالث من فيه إيمان وكفر وإيمان، ونفاق و خير و شر ، قال : ففيه _أي هذا القسم_ فيه من ولاية الله و استحقاقه لكرامته بحسب ما معه من الإيمان ،و فيه من عداوة الله و استحقاقه لعقوبته بحسب ما ضيعه من الإيمان ،إذن أصبح هذا الشخص فيه جانبان جانب يستحق عليه الثواب وجانب يستحق عليه العقاب ، جانب ولاية و جانب عداوة جانب حب و جانب بغض ، بخلاف الأول ،الأول ليس له إلا جانب واحد وهو الحب و الولاية و الثواب ،القسم الثاني ليس له أيضا إلا جانب واحد وهو جانب البغض و العداوة و العقاب ، هذا القسم الثالث أصبح فيه جانبان ، جانب الولاية و الحب و الثواب، وجانب العداوة و البغض و العقاب ،يستحق هذا و هذا ،وهذا القسم يسميه أهل العلم الفاسق الملي ، يعني الذي لم يخرج بفسقه عن الملة ، عن ملة الإسلام ،ويقال عنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، ويقال عنه أيضا مؤمن ناقص الإيمان لا يعطونه اسم الإيمان المطلق ،و لا يسلبون عنه مطلق الإيمان ،بل يقولون مؤمن ناقص الإيمان مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فهذه أقسام الناس .

القارئ : ويرتبون على هذا الأصل العظيم أن كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر تنقص إيمان العبد من غير أن تخرجه من دائرة الإسلام ولا يخلد في نار جهنم.

ولا يطلقون عليه الكفر كما تقول الخوارج أو ينفون عنه الإيمان كما تقول المعتزلة:

بل يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فمعه مطلق الإيمان وأما الإيمان المطلق فينفى عنه.

وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة، ويترتب على هذا الأصل:

أن الإسلام يجب ما قبله.

وأن التوبة تجب ما قبلها.

وأن من ارتد ومات على ذلك فقد حبط عمله.

ومن تاب تاب الله عليه.

الشيخ : على كلّ هذه الجملة جملة عظيمة جدا و ربما تحتاج أيضا إلى شيء من الوقت فنؤجل الحديث عليها إلى لقاء الغد بإذن الله تبارك و تعالى ، والله تعالى أعلم و صلى الله و سلم على عبد الله و رسوله نبينا محمد و آله و صحبه .